

فمن جاء بعبادة ليس عليها دليل من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ فإنها بدعة مردودة على صاحبها مهما كان صاحبها من العبادة والزهد، من جاءنا بشيء وقال: هذا طيب، وهذا عبادة، هذا ذكر؛ يُنظر: إن كان عليه دليل؛ فعلى الرأس والعين، وإن كان ما عنده دليل، رفضنا قوله، وإن كان من أكثر الناس زهدًا، أو من أكثرهم علمًا، لا ننظر إلى الشخص، وإنما ننظر إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ولا يُمكن أن تحكم على شخص بأنه مبتدع إلا إذا أتى بشيء في الدين ليس عليه دليل من كتاب الله، ولا من سنة رسوله ﷺ، ولا تحكم على الناس بالبدعة إذا أتوا بشيء تجهله أنت، أو لا تعرفه، أنت لا تعرف كل الدين، ولا تعرف كل ما جاء عن الله ورسوله ﷺ، لا يجوز الحكم على الناس بالبدعة إلا إذا أتوا بشيء من الدين لم يوجد عليه دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فعليك بالتثبت، لا تحكم على الناس بأنهم مبتدعة إلا بعد أن يثبت لديك بأن هذا الذي جاءوا به ليس عليه دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أو حكم عليه العلماء بأنه بدعة.

فأنت تقول: قال العلماء بأن هذا بدعة، أما أن تحكم بدون تثبت، وبدون روية، وبدون الرجوع إلى كلام أهل العلم؛ فهذا أكبر غلط، وهذا يسبب تفرقة بين المسلمين، ويولد العداوة بين المسلمين، ويسبب أضرارًا كثيرة، ويسبب إساءة الظن بين الناس بعضهم مع بعض فلا تُبدع أحدًا بغير دليل من كتاب الله، أو من سنة رسول الله ﷺ، أو إجماع المسلمين على أن هذا الأمر بدعة، فحينئذ تناقش هذا الشخص، وتبين له لعله فعل هذا عن جهل، لعله قلد أحدًا يظنه حقًا،

لعل له عذراً، تُبين له، فإن أصر بعد البيان فإنك تحكم بأنه مبتدع؛ لأنه أصرَّ على شيء ليس من الدين؛ فيكون مبتدعاً، فالأمر يحتاج إلى تثبيت يحتاج إلى روية، وعدم تسرع.

الآن كثر الجهل في الناس، وكثر من يدعون العلم، وكثر القراء، وقُلَّ الفقهاء، كما أخبر النبي ﷺ^(١).

فيجب على المسلمين أن يتثبتوا في الأمر، وألا يتسرعوا في أحكام الدين، وفي التكفير، أو التبديع أو غير ذلك؛ حتَّى يثبت عندهم الحكم الشرعي من كتاب الله، أو من سنة رسول الله ﷺ، أو بإجماع أهل العلم، فهذا أمر خطير، ولا يجوز لغير العلماء الكلام فيه.

هذا ما أحببت أن أقوله في هذه الجلسة، وأسأل الله -جل وعلا- أن يفقهنا وإياكم في دينه، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا.

أسأل الله -جل وعلا- أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتِّباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر موطأ الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ (١/١٧٣، برقم ٨٨) من كلام ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كتاب قصر الصلاة، باب: جامع الصلاة.

الذين يقومون بأعمال التكفير خارجون على حكم الإسلام

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه .

﴿ ويعد : ﴾

فلا شك أن توافر الأمن مطلب ضروري ، والإنسانية أحوج إليه من حاجتها إلى الطعام والشراب ؛ ولذا قدمه إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- في دعائه على الرزق فقال : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الشَّعْرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] . لأن الناس لا يهناون بالطعام والشراب مع وجود الخوف ؛ ولأن الخوف تنقطع معه السبل التي بواسطتها تُنقل الأرزاق من بلد لآخر .

ولذلك رتب الله على قُطَاع الطرق أشد العقوبات ، فقال : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣] .

وجاء الإسلام يحفظ الضروريات الخمس وهي : الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض ، والمال ، ورتب حدودًا صارمة في حق من يعتدي على هذه الضرورات سواء كانت هذه الضرورات لمسلمين ، أو

معاهدين، فالكافر المعاهد له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم.

قال النبي ﷺ: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّقِ اللَّهَ مَا تُقِ اللَّهَ﴾ [التوبة: ٦]. وإذا خاف المسلمون من المعاهدين خيانة للعهد لم يَجْزَ لهم أن يقتلوه حتى يُعلموهم بإنهاء العهد الذي بينهم، ولا يفاجئوهم بالقتال بدون إعلام، قال تعالى: ﴿وَلِمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذِرْهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

* والذين يدخلون تحت عهد المسلمين من الكفار ثلاثة أنواع:

المستأمن وهو: الذي يدخل بلاد المسلمين بأمان منهم لأداء مهمة، ثم يرجع إلى بلده بعد إنهائها.

والمعاهد: الذي يدخل تحت صلح بين المسلمين والكفار، وهذا يُؤمّن حتى ينتهي العهد الذي بين الفئتين، ولا يجوز لأحد أن يعتدي عليه، كما لا يجوز له أن يعتدي على أحد من المسلمين.

والذي يدفع الجزية للمسلمين، ويدخل تحت حكمهم. والإسلام يكفل لهؤلاء الأمن على دماءهم وأموالهم وأعراضهم.

ومن اعتدى عليهم: فقد خان الإسلام، واستحق العقوبة الرادعة، والعدل واجب مع المسلمين، ومع الكفار حتى لو لم يكونوا معاهدين، أو مستأمنين وأهل ذمة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢].

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب: إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، رقم (٣١٦٦، ص ٥٢٧) ط. دار السلام. الرياض.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

والذين يعتدون على الأمن: إما أن يكونوا خوارج، أو قطاع طرق، أو بغاة، وكل من هذه الأصناف الثلاثة يتخذ معه الإجراء الصارم الذي يوقفه عند حدّه، ويكف شره عن المسلمين والمستأمنين والمعاهدين وأهل الذمة.

فهؤلاء الذين يقومون بالتفجير في أي مكان، ويتلفون الأنفس المعصومة، والأموال المحترمة لمسلمين، أو معاهدين، ويرملون النساء، ويبتغون الأطفال هم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۖ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُبْغِ الْفُسَادَ ۗ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادَّةُ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

ومن العجيب: أن هؤلاء المعتدين الخارجين على حكم الإسلام يُسمون عملهم هذا جهاداً في سبيل الله!!

وهذا من أعظم الكذب على الله، فإن الله جعل هذا فساداً، ولم يجعله جهاداً، ولكن لا نعجب حينما نعلم أن سلف هؤلاء من الخوارج كفّروا الصحابة، وقتلوا عثمان وعليّاً عليهما السلام، وهما من الخلفاء الراشدين، ومن العشرة المبشرين بالجنة، قتلوهما وسموا هذا جهاداً في سبيل الله!!

وإنما هو جهاد في سبيل الشيطان، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴿٧٦﴾ [النساء: ٧٦]. وهؤلاء إن لم يكونوا كفارًا، فإنه يُخشى عليهم من الكفر، وهم يقاتلون في سبيل الطاغوت.

ولا يُحْمَلُ الإسلام فعلهم هذا كما يقول أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين: «إن دين الإسلام دين إرهاب». ويحتجون بفعل هؤلاء المجرمين، فإن فعلهم هذا ليس من الإسلام، ولا يقره إسلام ولا دين، وإنما هو فكر خارجي قد حث النبي ﷺ على قتل أصحابه وقال: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»^(١)، ووعد بالأجر الجزيل لمن قتلهم^(٢)؛ وإنما يقتلهم ولي أمر المسلمين، كما قاتلهم الصحابة بقيادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وبعض المنافقين أو الجهال يزعم أن مدارس المسلمين هي التي علمتهم هذا الفكر، وأن مناهج التدريس تتضمن هذا الفكر المنحرف، ويطالبون بتغيير مناهج التعليم.

ونقول: إن أصحاب هذا الفكر لم يتخرجوا من مدارس المسلمين، ولم يأخذوا العلم عن علماء المسلمين؛ لأنهم يُحرمون الدراسة في المدارس والمعاهد والكلليات، ويحتقرون علماء المسلمين، ويُجهّلونهم، ويصفونهم بالعمالة للسلطين، ويتعلمون عند أصحاب الفكر المنحرف، وعند حدثاء الألسن سفهاء الأحلام من أمثالهم،

(١) (٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه (١٦٢٨/٣)، برقم (٥٠٥٧) كتاب فضائل القرآن، باب: إثم من رأى بقراءة القرآن، أو تأكل به، أو فجر به، من حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

كما جَهَّل أسلافهم علماء الصحابة وكفروهم .

والذي نرجوه بعد اليوم : أن يلتفت الآباء لأبنائهم ، فلا يتركونهم لأصحاب الأفكار الهدامة ، يوجهونهم إلى الأفكار الضالة ، والمناهج المنحرفة ، ولا يتركونهم للتجمعات المشبوهة ، والرحلات المجهولة ، والاستراحات التي هي مراتع لأصحاب التضليل ، ومصائد للذئاب المفترسة ، ولا يتركونهم يسافرون إلى خارج المملكة ، وهم صغار السن .

وعلى العلماء : أن يقوموا بالتوجيه السليم ، وتعليم العقائد الصحيحة في المدارس والمساجد ووسائل الإعلام ؛ حتَّى لا يدعوا فرصة لأصحاب الضلال الذين يخرجون في الظلام ، وعند غفلة المصلحين ، وفقَّ الله الجميع للعلم النافع ، والعمل الصالح .
وصلَّى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه .

الأسئلة

السؤال (١): يقول السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فضيلة الشيخ، نسمع أن فضيلتكم لا يُفصّل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. ونرجو الإشارة - وجزاكم الله خيراً -.

الجواب: لا بد - إذا سمعتم عني أو عن غيري كلاماً - ألا تقبلوا هذا الكلام حتّى تطلّعوا على كلام الشخص - من كتبه، أو تسمعه من أشرطته - أما مجرد النقل والشائعات عن الناس فلا تقبلوه - مني، أو من غيري - لا بد من إثبات من كتاب ألفه، أو من شريط سُجل من كلامه، أو بالمشافهة تسألونه فيجيبكم عن ذلك، أما الاعتماد على الشائعات؛ فإن الكثير من الناس اليوم خفّ عليهم الكذب، وصاروا يقولون على الناس ما لم يقولوا، من أجل أن ينصروا ما هم عليه، والله تعالى يقول: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِمْ فَنُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ تَلَذِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

والنبي ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع»^(١).

(١) هذا الحديث بهذا اللفظ أخرجه أبو داود في سننه: في الأدب، باب في التشديد في

الكذب، برقم (٤٩٩٢).

فما كل ما سَمِعْتَ يكون صحيحًا، ولا تنسبه إلى أحد حتَّى تتأكد،
وتثبت كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِبَلٍّ فَتَبَيَّنُوا أَنْ
تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وأنا لَمْ أَقُلْ: إن الحكم بغير ما أنزل الله بأنه كفر أكبر مُخرج من
الملة مطلقًا، أنا أَفْضَلُ بما يُفصل به العلماء في هذه المسألة ممَّا هو
معروف في كتب التفسير، وفي كتب العقائد، ليست مسألة مَجْهولة،
إنما هي مسألة مَفْصَّلة في كتب أهل العلم في التفاسير، وأقربها تفسير
ابن كثير، وفي كتب العقائد وأقربها شرح الطحاوية وغيرها.

السؤال (٢): فضيلة الشيخ، نرجو إرواء غليلنا في مسألة التكفير
التي تنازع فيها العلماء، والسؤال: هل كل قول أو فعل يستوجب التكفير
والإطلاق، أم ينبغي التفصيل، بمعنى أن الحاكم الذي يُسن قوانين
وضعية يُحَادِّثُ بها الله ورسوله نكفره بمجرد الفعل، أم لنا أن نسأله، وإذا
أجاب بأنه مشغول، ولا يستطيع تطبيق الشريعة، فهل نقول بأنه مسلم فيه
كفر وفسق وظلم، أم نكفره ونُخرجه من الدين؟

الجواب: أنا أُرشدكم وأحلتكم على تفسير ابن كثير، أو تفسير ابن
جرير، أو على شرح الطحاوية لابن أبي العز، والحمد لله.

السؤال (٣): ما الفرق بين الموالات والمظاهرة للمشركين هل هي
مكفرة أو غير مكفرة؟

= وأبو عوانة في المستخرج على الصحيح برقم (٦٧)، وابن حبان (١/٢١٤)، برقم
(٣٠)، والحاكم (١/١٩٥)، برقم (٣٨١).

الجواب : المُوالاة هي المَحبة في القلب ، وأما المُظاهرة فهي المعاونة ، أن يُعين المشركين على المسلمين هذه هي المُظاهرة .

السؤال (٤) : ما رأي فضيلتكم فيمن يكفر هذه الدولة ، ويتَّهم علماءها بالمُداهنة ؟

الجواب : هذا من الذين يكفُّرون حكام المسلمين ، ويكفُّرون المسلمين ؛ بل يكفُّرون أفضل المسلمين ، وهم العلماء فهم من الخوارج ، لكن عليهم أن يتوبوا إلى الله ﷻ ويرجعوا إلى الصواب ، ويتركوا هذا الإثم العظيم .

السؤال (٥) : لقد كثُر الكلام من البعض عن مسألة خطيرة ، لا يعرفها إلا العلماء الراسخون في العلم ، ألا وهي تكفير المعين ، فهل أشرتُم إلى ذلك - وفقكم الله - ؟

الجواب : مَنْ فَعَلَ الكفر ، أو نطق بكلمة الكفر ، وهو غير مكره ؛ بل نطق بها مُختارًا ، فإنه يَحْكَمُ بكفره ؛ لأنه نطق بالكفر غير مكره ، أو فعل الكفر وهو غير مكره ، فيُحْكَمُ عليه بالكفر ، ويُدعى إلى التوبة .

السؤال (٦) : بالنسبة لبعض الدول المسلمة تبيح كثيرًا من المنكرات : كالمُسكرات ، والزنا ، فهل يُعد ذلك من الكفر البواح ، الذي يُجيز الخروج عليهم ؟

الجواب : هناك فرق بين من يستبيح ما حرم الله ، وبين من يفعل ما حرم الله ، وهو غير مستبيح له ، كالذي يشرب الخمر ، وهو يعتقد أنه

حرام، أو يأكل الربا، وهو يعتقد أنه حرام، أو يزني وهو يعتقد أن الزنا حرام، فهذا لا يكفر، هذا يكون فاسقًا ناقص الإيمان، وإن كان عليه حد يُطبق عليه الحد: حد الزنا، حد السرقة، حد الشرب؛ لكن لا يُحكم بكفره؛ لأنه لم يستبح هذا الشيء، أما من استباح هذه الأشياء؛ فإنه يكفر؛ لأن من استباح شيئًا مُجمعًا على تحريمه فإنه يكفر، ولو لم يفعل فكيف إذا فعله.

السؤال (٧): ما رأي فضيلتكم في الصلاة خلف إمام مسجد يُكفر ولاية أمر هذه البلاد، فهل يجوز الصلاة خلفه؟

الجواب: إذا كان ما تقوله صحيحًا، وثبت عليه أنه يكفر ولاية الأمور في هذه البلاد فلا يُصلّى خلفه، والحمد لله طلبة العلم متوافرون، وشئون المساجد على استعداد لتغييره، لكن الشأن في إثبات ما تقول، أما مجرد شائعة فلا يثبت بها حكم.

* * *

المصادر والمراجع

- ١- صحيح الإمام البخاري، المكتبة العصرية، الأولى ١٤١٧-
الرياض. طبعة دار السلام.
- ٢- مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- ٣- سنن الترمذي، المكتبة الفيصلية.
- ٤- صحيح الإمام مسلم، دار إحياء التراث العربي. ط دار السلام-
الرياض.
- ٥- تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، دار
المعارف - القاهرة.
- ٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية
١٤٢٠هـ.
- ٧- أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري،
المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- ٨- موطأ الإمام مالك بن أنس، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٠هـ.

الاجتماع
ونيف الفرقة

مقدمة^(١)

الحمد لله على فضله وإحسانه ، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد
وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ أما بعد : ﴾

فإن اجتماع المسلمين ونبذ الفرقة فيما بينهم أصل عظيم من أصول
الدين ، أمر الله تعالى به وأمر به النبي ﷺ .

وقال تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران :

١٠٣ .

وقال : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

وقال النبي ﷺ : «إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به
شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من
ولاه الله أمركم»^(٢) .

(١) أُلقيت هذه المحاضرة بمدينة الأحساء في ١٥/٣/١٤٢٤ هـ .

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ (٢/٩٩٠) كتاب الكلام ، باب : ما جاء في إضاعة
المال وذوي الوجهين ، ورواه مسلم بنحوه في صحيحه (٣/١٣٤٠ ، برقم ١٧١٥)
كتاب الأفضية ، باب : النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة . . . كلاهما من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ومن المَعْلُوم: أنه لا دين إلا باجتماع الكلمة، ولا اجتماع إلا بإمامة وقيادة، ولا قيادة إلا بسمع وطاعة، كما قال السلف - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - .

ولقد كان العرب متفرقين قبل بعثة النبي ﷺ متناحرين تقوم بينهم الحروب الطويلة: كحرب داحس، والغبراء، ويوم بعاث، وغيرها من الحروب التي كانت تطول فيما بينهم إلى مائة سنة أو أكثر، وهم في صراع فيما بينهم وعداوة وبغضاء، وغارات وثورات؛ حَتَّى مَنَّ اللَّهُ عليهم ببعثة النبي ﷺ فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى الاجتماع والأخوة فيما بينهم .

فاستجاب له من كتب الله له السعادة، واجتمعوا تحت راية التوحيد، وتحت قيادة النبي ﷺ، فزال ما كان بينهم من شحناء، وعداوة، وأصبحوا إخوة متحابين بعد أن كانوا أعداء متنافرين، وذَكَرَهمُ اللَّهُ - جل وعلا - بهذه النعمة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ١٥١﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٢﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٥٣﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٥٤﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ١٥٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿

قال ابن عباس : «تُسَوَّدُ وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وتُبَيِّضُ وجوه أهل الاجتماع والاتلاف»^(١).

وقال ﷺ : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَنَاصِبَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

وقال سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي آيَدَكَ بِنَصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

لا يَجْمَعُ الناس إلا هذا الدين كما قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ : «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها». فلا يَجْمَعُ القلوب، ويوحد الكلمة إلا العقيدة الصحيحة التي جاء بها مُحَمَّدٌ ﷺ.

ولا يَجْمَعُ القلوب، ويؤلف بَيْنَ الناس إلا الإيمان بالله وبرسوله، هذا هو الذي يَجْمَعُ بين الناس، ولهذا اجتمع المسلمون على رسول الله ﷺ، وصاروا أمة واحدة، وصار لهم هيبة في الأرض، وانتشر دين الله في المشارق والمغارب بسبب اجتماع الكلمة ووحدة الصف.

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاغْلِبُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ

(١) انظر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٩٢/٢).

رَبِّكَ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٥-٤٦﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

ثُمَّ لَمَّا تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حصل اختلاف بين الصحابة فيمن يتولَّى الأمر بعد النَّبِيِّ ﷺ وسرعان ما زال، وانتهى خلافهم، واجتمعت كلمتهم على أبي بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- فبايعوه على السمع والطاعة، فكان خير القائد بعد رسول الله ﷺ، وهكذا كانت دولة الخلفاء الراشدين في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان.

ثُمَّ فِي آخِرِ خِلافةِ عُثْمَانَ دبر اليهود المكر للمسلمين، وأرادوا تفريقهم فدسوا بينهم رجلاً يقال له: عبد الله بن سبأ اليهودي، فجعل يطعن في أمير المؤمنين عثمان، وينشر بين الناس سبه وتنقصه في خفية ومكر، وهو يتجول في بلاد المسلمين، وينشر أفكاره الخبيثة ضد أمير المؤمنين عثمان ﷺ.

فاجتمع حوله من أوباش الناس وسفهاءهم من مختلف البلدان، وجاءوا وحاصروا عثمان ﷺ في بيته، واستحلوا دمه، وقتلوه ﷺ، فحصل بين المسلمين اختلاف شديد رغم أنهم بايعوا الخليفة الراشد الرابع، وهو علي بن أبي طالب ﷺ، لكن لم تنته دسيسة اليهود فواصلوا نشر الشر بين المسلمين، واختلف الناس على علي ﷺ إلى أن قُتل، وآل الأمر إلى ابنه الحسن.

وتنازل الحسن ﷺ عن الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ﷺ، وتنازل الحسن ﷺ اجتمعت الكلمة، وسُمي العام الذي تنازل فيه: عام الجماعة، فقام معاوية أمير المؤمنين ﷺ بالأمر خير قيام، وساس

الناس بالعدل والحكمة، واجتمعت كلمة المسلمين في عهده، وتحقق ما قال الرسول ﷺ حين قال ﷺ للحسن بن علي: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين»^(١).

فتحقق ذلك بتنازله ﷺ لمعاوية بن أبي سفيان، وتم الاجتماع -ولله الحمد- واندحرت فكرة اليهود التي روجوا لها، وفسد عليهم الأمر، ومع ذلك لم يياسوا ولا يزالون كما قال الله تعالى: ﴿وَسِعُونَ فِي الْأَرْضِ فساداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

لذلك فهم دائماً ما يدسون الدسائس بين المسلمين يريدون بذلك تفريقهم؛ ولكن الله تعالى يقيض للمسلمين من يجتمعون عليه، ولو لم يحصل الاجتماع الكامل كما حصل في عهد الخلفاء الراشدين، وفي عهد معاوية ﷺ؛ لكن يحصل الاجتماع في بعض البلدان، وتقوم جماعات من المسلمين في كل إقليم وفي كل مصر من الأمصار، وصاروا دولاً بعد أن كانوا دولة واحدة؛ ولكن كل والٍ من ولاية هذه الدول يقوم في مملكته بالأمر، ويجتمع حوله المسلمون، والحمد لله.

وما زال الإسلام بخير وما زال المسلمون في خير، وكانت هذه البلاد لها نصيب من الفرقة والاختلاف قبل القرن الثاني عشر وفيه أظهر الله مُجدداً وداعياً إلى الله، وهو الشيخ المُجدد الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ فدعا الناس إلى التوحيد، وإلى عبادة الله وحده

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٢٢٢٢/٤، برقم ٧١٠٩) كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ للحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين». من حديث أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لا شريك له، وقبض الله له من ولاية الأمر من قام معه بالأمر من آل سعود، فبايعوه على السمع والطاعة والجهاد؛ فتمت البيعة بين الإمام محمد بن سعود، والإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، واجتمعت كلمة المسلمين في أول الأمر في بلدهم.

ثم واصل الشيخ رحمه الله الدعوة إلى الله، وكاتب البلدان، وواصل الإمام محمد بن سعود رحمه الله الجهاد في سبيل الله، وما هي إلا مدة يسيرة حتى توحدت البلاد وسادها الأمن والاستقرار، وزال عنها كثير من أمور الجاهلية، واستقر الحكم فيها إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وقام قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقائم الجهاد في سبيل الله، وقائم الدعوة إلى الله ﷻ، وتم للمسلمين في هذه البلاد الأمر، واجتمعت كلمتهم، وسادهم الأمن والاستقرار، وأنعم الله عليهم بوفرة الأرزاق، ولا تزال -ولله الحمد- هذه البلاد تحت ظل هذه الدعوة المباركة، وتحت هذه القيادة المباركة.

ولا تزال في خير واستقرار، وفي أمان، كل ذلك نتيجة الاجتماع، ونبذ الفرقة والاختلاف، وتوالت لهم دول إلى وقتنا هذا كما ترون نحن نعيش في نعمة -والحمد لله-: صحة العقيدة، وأمن في البلدان واستقرار، وحكم للشرعية، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وهي نعمة عظيمة يجب شكرها: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

نذكر هذه النعمة ونشكرها كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]. لا نذكرها على سبيل المدح، وإنما نذكرها على سبيل

الشكر لله تعالى ، الذي أنعم بها علينا ، وسببها ظاهر ، وهو الاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فالسمع والطاعة لولي أمر المسلمين نعمة نُحسد عليها ، ولكن لا تنسوا أن الأعداء ما زالوا يدسون الدسائس فيما بيننا ، يريدون تفريق كلمتنا ، ويريدون زوال هذه النعمة عنا ؛ لأن الكفار لا يُحبون أن يروا الإسلام وهو قائم ، لا يرضون بذلك : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠] .

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ حَتَّى يُرْذِلُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطْلَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧] .

فلنكن على حذر من هذه الدسائس ، وهذه الأفكار التي تروج فيما بيننا لتفريق كلمتنا ، وبث الأحقاد فيما بيننا حتى نتعادي ونختلف ، وحتى تسنح الفرصة للعدو ليتدخل ، وأن يكون له مكان بيننا ، ولكن نسأل الله ﷻ أن يرد كيدهم في نُحورهم ، وأن يقي المسلمين شرورهم ؛ ولكن لا بد من الانتباه ، ولا بد من التذكير بهذه النعمة ، ولا بد من التحذير من أسباب زوالها ، فإن النعمة إذا لم تُشكر ؛ فإنها تُرفع ، ويحل محلها النقرة : ﴿ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَمْ يَكْ مُغَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٥٣] .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجَّتُمْ لِيَنَّ شُكْرُكُمْ لَا زِيدَنَّاكُمْ وَلِيَنَّ كُفْرُكُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧] .

فيجب علينا الانتباه لهذا، وإذا حصل بيننا اختلاف فلنبادر إلى تسويته، وإلى التفاهم فيما بيننا، وأن يرجع المخطئ إلى الصواب ولا يكابر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

والرد إلى الله هو الرد إلى كتاب الله - القرآن -، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته بأن يرجع إليه ﷺ، وبعد موته يرجع إلى سنته كما قال ﷺ: «فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي»^(٢). فهذا هو الواجب على المسلمين أن يرجعوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ فيما شجر بينهم، وأن

(١) رواه الدارمي في سننه بنحوه (٤٥/١) في المقدمة، باب: اتباع السنة، ورواه الترمذي في سننه (٤٣/٥)، برقم (٢٦٧٦) كتاب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ورواه ابن ماجه في سننه (١٥/١)، برقم (٤٢) في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، كلهم من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه، ورواه غيرهم.

(٢) رواه مالك في الموطأ بلاغاً (٨٩٩/٢)، برقم (١٥٩٤)، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر. ورواه نحوه موصولاً ابن أبي عاصم في السنة - ظلال الجنة - (٢/٤٧٩)، برقم (١٥٥٧)، والمروزي في السنة (٢٥-٢٦)، برقم (٦٨)، والحاكم في المستدرک (١/١٧١)، برقم (٣١٨) ومن طريقه البيهقي في الاعتقاد (ص ٢٢٨). وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/١٠)، برقم (٤٠).

ينهاوا الخِلاف والنِّزاع، وأن يحذروا الفرقة والاختلاف والاستمرار في الخطأ، فإن الرجوع إلى الحق فضيلة.

والصحابه رضي الله عنهم كانوا يختلفون في بعض المسائل الفقهية؛ ولكنهم يرجعون إلى الكتاب والسنة، فمن كان معه الصواب صاروا معه وأنهوا الخلاف.

هذا عثمان رضي الله عنه يرى إتمام الصلاة في منى وكان يصلي بالناس فيتم الصلاة، وكان عبد الله بن مسعود يرى قصر الصلاة في منى وكان يصلي مع عثمان ويتم معه الصلاة مع أنه يرى القصر، فقالوا له في ذلك فقال: «إن الاختلاف شر»^(١). فكان يصلي مع أمير المؤمنين عثمان، ويوافقه على رأيه، يتم الصلاة تفادياً للخلاف والتفرق.

وهكذا يجب على المسلمين أن يتلافوا الخلاف والتفرق ولا يصِرُّ كل واحد على رأيه؛ بل يُحاولون جمع الكلمة، وعدم التفرق والاختلاف، فإذا كان الأمر يرجع إلى اجتهاد فقهي فإن الناس يجتمعون على كلمة واحدة ولا يكون ذلك الاختلاف سبباً للتفرق بينهم.

وفيما ضربته لكم من المثل في قصة عثمان وابن مسعود رضي الله عنهما خير شاهد على ذلك حتَّى في العبادة والصلاة، فابن مسعود رجع إلى رأي عثمان وصلى معه، وأتم الصلاة تفادياً للفرقة، وقال: «إن الخِلاف شر».

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/٢٠٥-٢٠٦)، برقم (١٩٠٦) بنحوه، كتاب المناسك، باب: الصلاة بِمَنَى، من حديث عبد الرحمن بن يزيد.

وفي عهد الإمام أحمد رحمه الله كان المعتزلة استمالوا الخليفة المأمون، والمعتصم، والواثق، فدعوههم إلى القول بخلق القرآن، فأجابهم هؤلاء الخلفاء إلى ذلك؛ ثم أشاروا عليه أن يجبر الناس على هذا القول؛ فأجبر الناس عليه، وصار يرهيبهم ويعذبهم، حتى الإمام أحمد رحمه الله تناولوه بالضرب والسجن؛ ليقول بخلق القرآن، ويوافق الجهمية.

فأبى رحمه الله وقال: هاتوا لي دليلاً من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ وهم يضربونه ويغشى عليه، فإذا أفاق قالوا: يا ابن حنبل، قل: كذا، فيقول: هاتوا لي دليلاً من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ، وظل هكذا يردد نفس العبارة، حتى قال ابن أبي دؤاد المعتزلي: يا أمير المؤمنين! اقتله وهو في ذمتي، من شدة العداوة لإمام أهل السنة، الإمام أحمد، ومع كل ذلك يقول الإمام أحمد: هاتوا لي دليلاً من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ ^(١).

ثم لما اشتد الأمر بعلماء أهل السنة، اجتمعوا بالإمام أحمد، وقالوا: يا أبا عبد الله! بلغ الأمر كما ترى، وحاولوه على أنه يخلع إمامة الخليفة.

فقال لهم: اتقوا الله في دماء المسلمين، وحذرهم من ذلك، وصبر على المحنة، ولم يخلع يداً من طاعة؛ بل صبر على الضرب

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١١/٢٤٦-٢٤٧) من ترجمة الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -.

والتعذيب^(١)؛ لأنه لو خلع يده من طاعة ولي الأمر لحصل ضرر عظيم، وسُفكت الدماء، وتفرقت الكلمة، واختل الأمن، فالإمام أحمد عمل بقول رسول الله ﷺ: «اسمع وأطع، ولو أخذ مالك وضرب ظهرك»^(٢).

فصبر ﷺ لأجل جمع الكلمة، وتفادي الفرقة والاختلاف، فواجب أن نسير على هذا الذي سار عليه سلفنا الصالح، وأن نتناسى الاختلاف فيما بيننا؛ بمعنى: أننا لا نتفرق في مسائل لها احتمال هي عن اجتهاد، ما لم يبلغ الأمر إلى الكفر، فإننا نصبر على طاعة ولي الأمر.

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»^(٣).

وذلك لأجل جمع الكلمة، وتفادي اختلال الأمن، وسفك الدماء؛ لأن ما يحصل من الفرقة والاختلاف أشد بكثير من الصبر على بعض المخالفات التي لا تصل إلى حد الكفر، ولا إلى حد الشرك، وهذا هو

(١) انظر: السنة لأبي بكر الخلال (ص ١٣٣)، والآداب الشرعية (١/ ١٩٥-١٩٦).
(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧٦)، برقم (١٨٤٧)، وما بعده كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٤/ ٢٢١٠)، برقم (٧٠٥٥، ٧٠٥٦) كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها».

أصل أهل السنة والجماعة أنهم يسمعون ويطيعون لولاية الأمر ولو حصل منهم خلل ما لم يكن هذا الخلل يؤدي إلى الشرك الظاهر والكفر البواح الذي ليس فيه اختلاف، كل ذلك من أجل جمع الكلمة وتفاديًا للفرقة؛ هذا هو منهج المسلمين، ومنهج أهل السنة والجماعة، وهو مدوّن في كتب العقائد، وهذا أصل عظيم، وهو جمع الكلمة وتفادي الفرقة.

وإذا كان عند الإنسان وعي؛ فليتفاهم مع إخوانه من طلبة العلم، يتفاهمون في هذا الأمر، ويقارنون بين المفاسد والمصالح.

ومعلوم أن من قواعد الدين: «ارتكاب أخف الضررين دفعًا لأعلاهما»، وهذه قاعدة عظيمة، ونحن الآن -كما ترون- في وقت فتن، ووقت شرور، والأعداء يتربصون بنا، ويدسون علينا الضغائن والدسائس، حتّى يفرقوا كلمتنا، وحتّى نتقاتل، ونتناحر فيما بيننا، كما حصل لهم ذلك في بلاد أخرى من سفك الدماء، ونهب الأموال، وضياع الأعراض والفوضى، هم يريدون منا أن نلحق بهذه البلاد التي دمروها وخربوها؛ فعلينا أن ننتبه لهذه الدسائس والأحاييل الباطلة، وأن نجتمع على كلمة واحدة: على دين الله، وعلى عقيدة التوحيد، وعلى السمع والطاعة لولاية أمورنا، وأن نتناصح فيما بيننا، وأن نتلافى الخلاف الذي يؤدي إلى الفرقة.

والذي عنده رأي، أو فكر، أو اجتهاد في مسألة من المسائل يُخالف اجتهاد الآخر علينا أن نرجع إلى كتاب الله، وسنة رسوله، ونأخذ

بالدليل ، ونهني خلافا ، كما حصل من الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله ﷺ ، اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، والرسول ﷺ مسجى بعد موته ، فلم ينشغلوا بتجهيزه ؛ بل اشتغلوا بإنهاء الخلاف ، فاجتمعوا في السقيفة ، وما تفرقوا إلا وقد بايعوا الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، فلما انتهى الخلاف واجتمعت الكلمة ، انصرفوا إلى تجهيز الرسول ﷺ .

فهذا يدل على أنهم لم يتركوا الخلاف بين المسلمين يتفاقم وينتشر ؛ بل بادروا في إزالته ، وتوحيد كلمة المسلمين ، وإغاظة العدو ، وسد الطرق التي يتسلل إلينا منها .

فعلينا أن ننتبه لهذا الأمر ، وأن نحافظ على هذه النعمة ، ونحافظ على هذا الاجتماع الطيب ، على كتاب الله ، وعلى سنة رسول الله ﷺ ، كما علينا أن نسعى بالنصيحة لمن رأينا عليه خطأ أو خللاً ، فإننا ننصحه بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجِدَال بالتي هي أحسن ، كما قال ﷺ : « الدين النصيحة - ثلاثاً - » ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ^(١) .

فالنصيحة مأخوذة من نصح الشيء إذا خلص ^(٢) ، فالنصيحة هي الخلوص من الغش ، والخلوص من الخيانة ؛ لئلا يكون في قلوب بعضنا على بعض غش أو خيانة فيما بيننا ، أو فيما بيننا وبين ولي أمرنا ، بل نكون ناصحين ظاهراً كباطننا ناصحين للمسلمين ليس في قلوبنا

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٧٤/١) ، برقم ٩٥ كتاب الإيمان ، باب : بيان أن الدين النصيحة من حديث تميم الداري رضي الله عنه .

(٢) انظر : المُحْكَم والمُحِيط الأعظم (٣/١٥٧) مادة مقلوبة (ن ص ح) .

غش أو خديعة، وإنما ينشر الخلاف ويفرق بين الناس أهل النفاق، ومن ورائهم الكفار من اليهود والنصارى الذين يؤججون نار الخلاف، وينشرونه بين المسلمين.

وينبغي أن يُعلم أن المسائل المصيرية في حياة المسلمين لا يتناولها كل أحد؛ بل ينبغي أن تُرفع للعلماء، وأهل الرأي والمشورة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

فالأمور لها مداخل، ولها أصول، ولها أهلها الذين يقومون بها، ليس من حق كل أحد أن يتدخل في الأمور العامة، وإنما يرد هذا الأمر إلى أهله أهل العلم وولاة الأمور: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾. هذا في حياته ﷺ، وبعد موته تُردُّ الأمور إلى سنته، وسنته يعرفها العلماء، فيرد إلى العلماء الذين يعرفون سنة الرسول ﷺ.

والمسلمون كالجسد الواحد، وكالبنيان يشد بعضهم بعضاً، فكل شيء له مرجع، وإلا صارت الأمور فوضى، فالمسائل العامة، والمسائل المصيرية ترد إلى المراجع المعتمدة إلى أهل الرأي، والبقية تبع لهم.

فكلُّ عليه مسئولية حسب ما يليق به، فلا يتدخل أحد في اختصاص الآخر، فهذا ليس من الصلاح ولا من الإصلاح؛ بل هذا من الفوضى، وليس هذا من النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم؛ بل هذا ممَّا يضر

المسلمين ، ويشئت آراءهم وتحدث بينهم البلبلة والتصدع ، فالمسلمون جماعة واحدة لهم رءوس ولهم قادة ؛ كما قال الشاعر :

البيت لا يُبنى إلا على عمِدٍ ولا عماد إذا لم تُرسَ أوتادُ
فإن تُجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهأ لهم سادوا

فليست الأمور فوضى ؛ لأن الفوضى لا يرضى بها الله ، ولا رسوله ، ولا المسلمون ، فالمسلمون لهم قادة ، ولهم علماء ، ولهم مراجع يتولون مهام الأمر ، والمشكلات العامة التي تتعلق بها مصير المسلمين ، فيجب أن ننتبه لهذا الأمر ، وأن نتناصح فيه ، وأن ننصح إخواننا الذين يتعجلون الأمور ونقول لهم : هذا ليس إليكم - أصلحكم الله - هذا إلى مصادره ومراجعته ، أنتم عليكم بشئونكم الخاصة ، وبما يتعلق بكم ، أما أمور المسلمين العامة ، فهذه لها مصادرها ولها مرجعها : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] .

لا سيما عند الفتن التي تحدث في المجتمع ، فهذه لا نتناولها في مجالسنا ، ولا يتكلم فيها الصغير والكبير ، والجاهل والمتعلم ، وكل منهم له رأي فيها ، فهذه فوضى ، فالمسلمون كالجسد الواحد ، وكل عضو له وظيفة ، فلا يقوم عضو بوظيفة العضو الآخر ، كذلك فلا يتولَّى رعاع الناس وصغار الأسنان والمبتدئون في طلب العلم يتولَّون المسائل الكبار التي تتعلق بمصير الأمة ومصليحتها .

هذه لها أهلها المنوطة بهم، وأنت لك شأن خاص في خاصة نفسك، وفي أهل بيتك وأولادك؛ فأنت راعٍ على من تحت يدك، ولهذا يقول ﷺ: «كلكم راعٍ، وكلكم مسئول، فالإمام راعٍ وهو مسئول، والرجل راعٍ على أهله وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة»^(١).

فليس من صلاحيات الإمام أن يتدخل في البيت، فاليوت يتولاها أصحابها، وليس من صلاحيات أصحاب البيوت أن يتدخلوا في شأن الإمام؛ ولكن كلُّ له مسؤوليته، وكلُّ له رعيته يقوم عليها، أما أن يتدخل هذا في شئون هذا فهذه فوضى، ولا تصلح، ونرجو من إخواننا وأبنائنا أن يفهموا هذا الأمر، لاسيما في هذه الظروف الصعبة، ويبعدوا عنهم الاختلاف، وتشتت الآراء، والتدخل فيما لا ينفع الإنسان، فإن هذا ليس من مصلحة المسلمين، وإنما يضرهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلَّى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وأصحابه أَجْمَعِينَ.

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٣/١٦٦٧-١٦٦٨، برقم ٥١٨٨) كتاب النكاح، باب: «فَوَأَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وورد بلفظ قريب منه برقم (٥٢٠٠) من الصحيح.

الأسئلة

س: فضيلة الشيخ! ينادي المسلمون بالاجتماع ونبذ الاختلاف؛ ولكن كيف يتم ذلك مع اختلاف مصادر التلقي عند أبناء الصحوة الإسلامية، ممّا جعلهم يعيشون في دوامة الانجرافات الفكرية، والتخبطات المنهجية، ولذا نرجو علاج هذه القضية الخطرة؟

الجواب: نعم، هذا سؤال مهم، وهو أنه لا بد للناس من طلب العلم، ولا بد للناس من أن يتعلموا، ولكن أين يتعلمون؟ يتعلمون على أيدي أهل العلم، ويتلقون العلم على أهلهم ومصادره الأصيلة كما كان سلفنا الصالح -رحمهم الله- كانوا يتلقون العلم عن العلماء، ويسافرون إليهم، ولو في أقصى البلاد، ويصبرون على التعب والجوع والمشقة والغربة، ويسافرون لطلب العلم عن أهله.

كما قال قائلهم: «إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم». فلا تأخذوا العلم إلا عن أهل المعروفين به، لا تأخذوا العلم عن كل أحد، فلا تأخذوا العلم عن مضلل، أو ضال في عقيدته، أو في دينه، أو مبتدع، خذوا العلم عن العلماء من أهل السنة والجماعة، المعروفين بالعلم، ولو أن تسافر إليهم، وتسكن عندهم.

واليوم -ولله الحمد- الأمور ميسرة، فسهل الآن التلقي عن أهل

العلم في المساجد، والمدارس، والمعاهد، وفي الجامعات، لا تتلقَّ العلم عن كتب تقرأها؛ فتفهم خطأ، وتعتمد عليه.

كما لا تتلقَّ العلم عن صغار السن المبتدئين الذين لم ترسخ أقدامهم في العلم، وأشد من ذلك لا تتلقَّ العلم من المبتدعين الضالين؛ بل تلقه من مصادره الصحيحة المعتمد عليها، وهي ميسرة - ولله الحمد - وإذا أشكل عليك شيء فالهاتف والجوال موجودان، اسأل، قال الله تعالى: ﴿فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

فالأمور ميسرة؛ ولكن بعض الناس لا يريدونها، ولا يرى العلماء شيئاً، ولا يخضع لهذا الأمر، أو بعضهم ما عنده صبر لتلقي العلم، وتلقي العلم يحتاج إلى صبر طويل ووقت، والعلم كما يقولون: إذا أعطيته كُلُّكَ؛ أعطاك بعضه، والله - جل وعلا - يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ [يوسف: ٧٦].

فلا تظن أنك إذا قرأت صرت عالماً، ومن قال: أنا عالم، فهو جاهل كما يقول العلماء، فالإنسان دائماً بحاجة إلى العلم، والله - جل وعلا - قال لرسوله الذي هو أعلم الخلق، قال له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١٤]. فالرسول ﷺ بحاجة إلى زيادة العلم، فكيف بك أنت؟! فعليك بمعرفة قدر نفسك، واعلم أنك جاهل بحاجة إلى العلم، فلا تظن أنك تستغني عن العلم، وتستغني عن العلماء.

س: في باب الاجتماع ونبد الفرقة، وفي لمَّ الشمل وجمع الكلمة، نأمل من معاليكم التكرم بتوجيه كلمة لشبابنا الذين هم في الأصل على

منهج السلف الصالح؛ لأهمية تخلقهم بأخلاق السلف الصالح، والتماس العذر للمخالف من إخوانهم من أهل السنة والجماعة في الأمور التي تختلف فيها الأفهام، وإساءة الظن، والحديث عن النيات خصوصاً من له مسوغ من قول بعض أهل العلم في هذه البلاد.

الجواب: هذا هو ما ذكرنا؛ فالإنسان لا يعتمد على علمه هو فيكون فهمه خطأ، لاسيما إذا كان ما عنده قواعد علمية، ما درس قواعد العلوم، وما درس المتون ولا فهمها، وإنما أخذ الأمر بالمطالعة، وهذا لا يصلح، فيجب طلب العلم، والجلوس بين يدي العلماء، يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

من لم يذق ذل التعلم ساعة تجرع كأس الجهل طول حياته فلا بد من الاتصال بأهل العلم، ولا تحقر العلماء، وتقول: هم لا يفهمون، ولا عندهم فهم في الواقع، وأنهم يعيشون في بروج عاجية كما يقول بعضهم، ويزهد في العلماء، ويحقرهم، ويتهمهم بالانعزال والانطواء، وأنهم مشغولون بفقهاء الجزئيات، فهذا كله كلام للتفكير من أهل العلم، والفصل بين الشباب والعلماء، وإذا بلغ الأمر إلى هذا الحد فقل على الأمة السلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

س: كانت هذه البلاد، ولا تزال -بحمد الله- تسير على منهج السلف الصالح، وكان أهلها متحابين من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، فما أسباب هذه التفرقة والاختلاف الذي نراه اليوم وهل هذه الفرق والجماعات التي نراها كلها على خير وهل يجب بينهما

وحدة الصف لا وحدة الرأي كما يقال؟

الجواب: نطلب من الله ﷻ أن يثبت أهل هذه البلاد على الحق،
وَتَجْنِبَ الْفِرْقَةَ، قال الله - جل وعلا - : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فننصح إخواننا الذين صار عندهم بعض الاختلاف، أو بعض
التفريق في الرأي: أن يرجعوا إلى كتاب الله، وإلى سنة رسوله ﷺ،
وإلى منهج السلف الصالح، ويلزموا ذلك، والمخطئ يرجع عن
خطئه، والمصيب يحمد الله على الصواب، ويسأل الله الثبات عليه،
فهذا هو المطلوب.

وأما من يقول بوجوب وحدة الصف دون وحدة الكلمة؛ فهذا
مستحيل، وهذا تناقض، فكيف يتوحد الصف مع اختلاف الكلمة؟!
لا يمكن أن يتحد الصف مع اختلاف الكلمة، إنما يتحد الصف مع
وحدة الكلمة.

س: هل تعد ما يسمى بالجماعات الإسلامية والمناهج من الاختلاف
المنوع، أم من الاختلاف الجائز؟

الجواب: ليس هناك مناهج متعددة؛ إنما المنهج واحد، هو منهج
الكتاب والسنة الذي عليه سلف الأمة، وما خالف هذا المنهج فهو
مرفوض ومردود، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا
تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فتنصح إخواننا الذين صار عندهم بعض الاختلاف : أن يرجعوا إلى كتاب الله ، وإلى سنة رسول الله ﷺ ، وإلى منهج السلف الصالح ، ويلزموا ذلك ، والمخطئ يرجع عن خطئه ، والمصيب يحمد الله على الصواب ، ويسأل الله الثبات عليه ، وهذا هو المطلوب .

* * *

أكثر من قضية

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه،
ومن اهتدى بهداه.

﴿أما بعد﴾

فهذه قضايا تروج في الساحة، وتختلف وجهات النظر حولها،
ويتناولها الكبير والصغير، والعالم والجاهل والناصح؛ مما يسبب
تشويشاً على الأفكار، وحيرة بين الناس، وهذه القضايا:

• أولاً: قضية توجيه الشباب:

لا شك أن الشباب هم عماد الأمة بعد الله، والأعداء يركزون
عليهم أكثر ليضلّوهم عن سواء السبيل حتّى تخسرهم أمتهم؛ تارة
بترويج الأفكار الهدامة، وتارة بترويج المخدرات، وتارة بالإغراء
بالشهوات، وتارة بالخروج على مجتمعهم ومحاولة تدميره والإخلال
بأمنه، وتارة ببث المناهج الحزبية والتفرقات الجماعية؛ حتّى يصبح
﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَزِمَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

ولا شك أنه يجب على الأمة -حيال هذه التوجهات المختلفة-
حماية شبابهم منها، وأول من يُخاطب بذلك الوالدان فهما المربيان
الوحيدان للطفل في أول نشأته؛ قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على

الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»^(١).

والله تعالى يقول لهذا المولود إذا كبر: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

ثم على المدرس قسط أكبر من توجيه الشباب وهم على مقاعد الدراسة، فالطالب يتأثر بأستاذه وتنطبع فيه ممارساته؛ لأنه يرى فيه القدوة والموجه.

فعلى المدرس أن يغرس في الطالب العقيدة الصحيحة، والمنهج السليم، والأخلاق الفاضلة، والسير على منهج السلف الصالح؛ كما قال الإمام مالك رحمه الله: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها». ثم على المجتمع عمومًا وعلى العلماء خصوصًا: العناية بتوجيه الشباب، ومقاومة الأفكار الوافدة، والمناهج المنحرفة، وبيان ما فيها من تضليل وتليس ومكر وخداع.

وعلى ولاية الأمور - وفقهم الله - بما أعطاهم الله من السلطة وحملهم من المسؤولية: المحافظة على شباب الأمة، ومنع تسربات الأفكار الدخيلة، والمناهج المشبوهة ودعاة الضلال إليهم.

فإذا تضافرت الجهود، وبُذلت الأسباب؛ حصلت النتائج الطيبة بإذن الله ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٤١٠/١)، برقم (١٣٨٥) كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

● ثانيًا: قضية الحوار والمناظرة:

لا شك أن الحوار المثمر، والمناظرة الجادة، إذا كان يُقصد بهما بيان الحق والدعوة إليه؛ أن ذلك مما أمر الله به، قال تعالى:

﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:

[١١١].

فنحاور ونناظر المخالف ليرجع إلى الحق، ويشوب إلى الرشد، قال تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ومن لم يرجع إلى الحق بعدما تبين له؛ فإننا نقيم عليه الحجة، ولا تتنازل عن شيء من الحق؛ إرضاءً للمخالف، فإن هذا من المداينة قال تعالى: ﴿فَلَا تَطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ٨ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٨-٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ﴾ [الواقعة: ٨١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرًا وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ ٧١ ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنِّتَكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا﴾ ٧٢ ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

● ثالثاً: قضية الولاء والبراء:

ومعناهما: محبة المؤمنين ومناصرتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم، والله تعالى أمرنا بموالاة المؤمنين، ومعاداة الكافرين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ ٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿المائدة: ٥٥-٥٦﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] . . . إلى غير ذلك من الآيات.

وليس معنى معاداة الكفار وبغضهم: أننا نظلمهم أو نعتدي عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. بل يجب علينا الوفاء بالعهود معهم وأن نعقد الهدنة بيننا وبينهم، إذا اقتضت مصلحة المسلمين ذلك، وأن نحترم دماء المعاهدين والمستأمنين والذميين وأموالهم، وألا نقتل نساءهم، ولا صبيانهم، ولا شيوخهم إذا دارت المعركة بيننا وبينهم، ولا مانع من التعامل مع الكفار بتبادل المنافع والتجارة والاستفادة من خبراتهم

ومصنوعاتهم، ولا مانع من مكافأة المُحسنين منهم إلينا؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنَّاكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّهُمُ وَيُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المُمتحنة: ٨].

لا مانع أن نأكل من ذبائح أهل الكتاب، ونتزوج من نسائهم المُحصنات، وهذه تعاملات دنيوية لا تقتضي محبتهم في القلوب، بل نتعامل معهم هذه التعاملات مع بغضهم في القلوب.

فدين الإسلام ليس دينَ محبة فقط كما يقول بعض الجهال، وإنما هذا دين النصراري، ولا دين بغضٍ فقط كما يقوله المتطرفون الغلاة، وإنما هو دين محبة للمؤمنين، وبغض للكافرين.

* فالناس على ثلاثة أقسام:

- منهم: من يُحِبُّ محبة خالصة، وهو المؤمن المستقيم.
- ومنهم: من يُبْغِضُ بغضًا خالصًا، وهم الكفار.
- ومنهم: من يُحِبُّ من وجه، ويُبْغِضُ من وجه، وهو المؤمن الفاسق، يُحِبُّ لما فيه من الإيمان، ويُبْغِضُ لما فيه من المعصية.

• رابعًا: قضية اختلاف العلماء، والموقف من ذلك:

* الاختلاف على أقسام:

- القسم الأول: الاختلاف في العقيدة، وهذا لا يجوز؛ لأن العقيدة ليست مجالًا للاجتهاد والاختلاف؛ لأنها مبنية على التوقيف، ولا مسرح للاجتهاد فيها، والنبي ﷺ لما ذكر افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة،

قال: «كلها في النار إلا واحدة». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي^(١).

- القسم الثاني: الخلاف الفقهي الذي سببه الاجتهاد في استنباط الأحكام الفقهية من أدلتها التفصيلية، إذا كان هذا الاجتهاد ممن توفرت فيه مؤهلات الاجتهاد؛ ولكنه قد ظهر الدليل مع أحد المجتهدين فإنه يجب الأخذ بما قام عليه الدليل، وترك ما لا دليل عليه.

قال الإمام الشافعي رحمته الله: أجمعت الأمة على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يكن ليدعها لقول أحد؛ وذلك لقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال الإمام ابن القيم رحمته الله:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين النصوص وبين قول فلان^(٢)
وقال آخر:

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر
وقال آخر:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه

(١) رواه الترمذي في سننه (٢٦/٥)، برقم (٢٦٤١) كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، ورواه غيره بألفاظ أخرى.

(٢) انظر: شرح قصيدة ابن القيم (٢/١٥٢) بشرح د. محمد خليل هراس.

ما العلم نصيبك للخلاف سفاهة بين النصوص وبين رأي فقيه
- القسم الثالث: الاجتهاد الفقهي الذي لَمْ يظهر فيه دليل مع أحد
المختلفين، فهذا لا ينكر على من أخذ بأحد القولين، ومن ثم جاءت
العبارة المشهورة: «لا إنكار في مسائل الاجتهاد»، وهذا الاختلاف
لا يوجب عداوة بين المختلفين؛ لأن كلاً منهم يَحتمل أنه على الحق.
هذا وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وآله
وصحبه.

المصادر والمراجع

- ١- موطأ الإمام مالك.
- ٢- صحيح الإمام مسلم، دار التراث العربي ط دار السلام- الرياض.
- ٣- تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
- ٤- صحيح الإمام البخاري، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ. ط دار السلام- الرياض.
- ٥- سنن الدارمي، دار الكتب العلمية، دار إحياء السنة النبوية.
- ٦- سنن الترمذي، المكتبة الفيصلية. بمكة المكرمة.
- ٧- سنن ابن ماجه، المكتبة العلمية.
- ٨- سنن أبي داود، دار إحياء السنة النبوية.
- ٩- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
- ١٠- المُحكم والمُحيط الأعظم، لابن سيده المرسى، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- ١١- السنة، للإمام أبي بكر الخلال.
- ١٢- الآداب الشرعية، لابن مفلح المقدسي.
- ١٣- شرح القصيدة النونية، محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

الجهاد وضوابطه

مقدمة^(١)

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

كھ أما بعد :

فإن الجهاد في سبيل الله ﷺ فريضة عظيمة ، وهو قوام الدين ، كما قال ﷺ : «رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»^(٢) .

وقد أمر الله به في كثير من الآيات ، وحثَّ عليه ورغب فيه ، وكذلك نبينا مُحَمَّد ﷺ أمر بالجهاد ورغب فيه ، وحثَّ عليه ، وبيَّن فضله وبيَّن فوائده ، حتَّى أن بعض العلماء عدّه ركنًا سادسًا من أركان الإسلام لأهميته ، ولكثرة ما جاء في شأنه من الآيات والأحاديث وهذا ممَّا لا شك فيه ، وهو مُجمع عليه بين أهل العلم ، وهذا مدون في كتب الحديث ، وفي كتب الفقه ، وفي كلام أهل العلم ، وله شروط وضوابط أخذوها من كتاب الله ، ومن سنة رسول الله ﷺ ؛ لأنه أمر مهم .

(١) ألقى هذه المُحاضرة في الجامع الكبير بالرياض في ٤/٢/١٤٢٤هـ .

(٢) رواه الترمذي في سننه (١٣/٥) برقم ٣٦١٦ كتاب الإيمان ، باب : ما جاء في حرمة الصلاة من حديث معاذ بن جبل ؓ ، ورواه غيره .

ولكن في وقتنا هذا : كثر القيل والقال في هذه المسألة العظيمة ، وتناولها أناس ليس عندهم بصيرة ولا علم ، فتكلموا في الجهاد ، ما بين متشدد وغالٍ فيه ، وما بين جافٍ ومتساهل في أمر الجهاد ، حتَّى إن بعض الجهال ، وبعض المغرضين من أعداء الإسلام يصفون الجهاد في الإسلام بأنه وحشية ، وأنه إكراه على الدين ، واللَّه - جل وعلا - يقول : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] . ويزعمون أن الإسلام ليس فيه قتال ، وليس فيه جهاد ، هذا جانب .

والجانب الآخر : متشدد فيه ، ويتكلم فيه بغير علم ، وبغير بصيرة ، وبغير ضوابط شرعية ، لذلك ينبغي الاهتمام ببيان هذا الأمر العظيم .

لقد قال النَّبي ﷺ : «إن في الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، أعدّها الله للمجاهدين في سبيله . . .»^(١) الحديث .

واللَّه - جل وعلا - يقول : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخُسْفَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥-٩٦] .

والجهاد فريضة قديمة ، فقد جاهد موسى ﷺ ، فقد خرج ببني إسرائيل غازيًا ، قال تعالى : ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٢٣١٦/٤) برقم (٧٤٢٣) كتاب التوحيد ، باب : «وكان عرشه على الماء» ، «وهو رب العرش العظيم» .

لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ [المائدة: ٢١].

فحصل منهم ما حصل ، وعاقبهم الله بما ذكر الله في هذه الآيات من سورة المائدة ، وفي النهاية وبعد موت موسى ﷺ قاموا بالجهاد ، وفتحوا بيت المقدس ، ودخلوا فيه بالجهاد في سبيل الله ﷻ ، فنفذوا ما أمرهم الله به ؛ لكن بعد تباطؤ وتلكؤ .

وكذلك في بني إسرائيل من بعد موسى كان الجهاد مشروعا ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْمُ بَعَثَ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

إلى أن قال لهم نبيهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. فحصل منهم ما حصل من الجدال ، كعادة بني إسرائيل ، ثم إنهم لما خرجوا مع طالوت ، وفصل بهم ، يعني خرج بهم غازيا في سبيل الله لقتال الكفار حصل امتحانهم بالنهر الذي ابتلاهم الله به ، ولم ينجح في هذا الابتلاء إلا عدد قليل : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فلما جاوز طالوت النهر ومن معه من الجنود قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَّا ذُنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٥١﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ

قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَرًا وَثَكَّنْتَ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥١﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴿١٥٢﴾ [البقرة: ٢٤٩-٢٥١]. فهذا دليل على أن الجهاد أمر ماضٍ في الأمم قبلنا.

وكذلك سليمان عليه السلام، وشأنه مع بلقيس ملكة سبأ، وأنه قال: ﴿أَتَجِجُ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِسَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧]. فهذا سليمان بن داود -عليهما الصلاة والسلام- هدد هذه الملكة بأن يغزوها بجنود لا قبل لأهل اليمن بهم، فما كان إلا أن خضعت واستسلمت وجاءت مسلمة، وقالت: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

الشاهد: أن الجهاد موجود في الشرائع القديمة؛ لأن الله ﷻ خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥١﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٢﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

فالله خلق الخلق لعبادته، وتكفل بأرزاقهم، فلما حصل من بعض العباد خروج عن طاعة الله، وتكبر عن عبادة الله التي خلقوا من أجلها، فإن الله ﷻ انتقم منهم، فكان في الأمم السابقة أن الأمة إذا عصت وعنت عن أمر الله، وَلَمْ تَنْقُذْ لِنَبِيِّهَا، أن الله يأخذها بالعقوبة المستأصلة فيهلكون عن آخرهم، كما حصل لقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ممن أهلكتهم الله عن آخرهم لَمَّا تَمَرَدُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وتكبروا عن عبادة الله، وأصروا على عبادة غير الله،

وأصروا على الشرك، فإن الله - جل وعلا - يستأصلهم عن آخرهم، ولا ينجو إلا أهل الإيمان، لا ينجو إلا الرسل وأتباعهم.

ثم إن الله ﷻ بعد ذلك شرع الجهاد بدلاً من الهلاك العام، عقوبة للكفار الذين أبوا أن يعبدوا الله ﷻ، وتكبروا عما خلقوا له، شرع الله الجهاد فكان من سنة الأنبياء بعد القرون الأولى، إلى أن جاء نبينا ﷺ فمضى على هذه الشريعة، وهي الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وإزالة الشرك والكفر: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

هذه هي الحكمة في مشروعية الجهاد، لأجل أن يُعبد الله وحده كما قال - عليه الصلاة والسلام - : «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ...»^(١) الحديث.

وقال - عليه الصلاة والسلام - : «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(٢).

والجِهَاد: مصدر جاهد جهاداً^(٣)، والمراد به: بذل الجهد في طاعة الله ﷻ وعبادته، ومن ذلك قتال الكفار، فالجهاد أنواع، والمسلم

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٢٣/٩ برقم ٥١١٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٩٠٨/٢ برقم ٢٩٤٦) كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة والآن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (٥٣٧/٧) مادة (جهد).

لا يزال في جهاد من هذه الأنواع، وهو خمسة أنواع:

• الأول: جهاد النفس:

بأن يُجاهد نفسه في طاعة الله، بأن يأمرها بالمعروف، وينهاها عن المنكر، ولن يستطيع المسلم أن يُجاهد غيره إلا إذا جاهد نفسه أولاً.

• الثاني: جهاد الشيطان:

فإذا فرغ من جهاد نفسه بدأ في جهاد الشيطان بأن يعصيه فيما أمره به، ويفعل ما نهاه عنه.

• الثالث: جهاد العصاة من المسلمين:

وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك يكون بحسب الاستطاعة قال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(١).

وفي رواية: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»^(٢).

• الرابع: جهاد المتأففين:

وذلك بدحض شبههم، والرد على افتراءاتهم، ويجب جهادهم،

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٦٩/١ برقم ٤٩) كتاب الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. والرواية المشار إليها في حديث آخر برقم (٥٠) أوله: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي...». الحديث من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) التخريج السابق نفسه.

والحذر منهم، كما قال الله ﷻ: ﴿هُرِّدُوا الْعَدُوَّ فَاحْذَرُوهُ﴾ [المنافقون: ٤].
 وجهادهم يكون باللسان قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادِ الْكُفَّارِ
 وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ [النحریم: ٩].

• الخامس: جهاد الكفار:

وذلك يكون بحمل السلاح، ودخول المعارك؛ لنشر دين الله،
 ودحر الشرك وأهله، وقد فرض الله على هذه الأمة الجهاد في سبيله،
 ولكن شرعه بالتدرج، فيوم أن كان النبي ﷺ بمكة ومعه المسلمون
 كانوا منهيين عن الجهاد، مأمورين بكف أيديهم، فقد ظل النبي ﷺ في
 مكة مدة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة يدعو إلى الله ﷻ، ورغم ما كان
 يلاقه من قومه من عنت ومشقة.

والعلة في ذلك: أن المسلمين كانوا في حالة من الضعف، فلو
 أمروا بالقتال، وهم على مثل هذه الحالة؛ لتغلب عليهم العدو،
 واستأصل شأفتهم، وأماتوا دعوتهم.

ثم لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ووجد الأنصار والأعوان؛ أذن
 الله ﷻ لهم بالجهاد -إذننا لا أمراً- فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ
 ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]. فأذن لهم بالجهاد، وأباحه
 لهم بعد أن كان مُحَرَّمًا عليهم.

ثم بعد ذلك أمروا بقتال من قاتلهم، والكف عمن لم يقاتلهم، قال
 تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا
 يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]. فأمروا بقتال من قاتلهم فقط.